هو
121

# كتاب الجلالة

## و هو

# كلمة الله

من مجموعة رسائل

## الشيخ محيى الدين بن عربي

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه الحول والقوة

الحمد لله حمدا لا تعلمه الأسرار ولا تعرفه الأرواح ولا تدركه العقول ولا تضمره القلوب ولا تستشرف عليه النفوس ولا تنطق به الأفواه، الجامع للمحامد الأزلية والممد للمحامد الأبدية بالتقديس للحامدين عن النظراء والأشباه، والصلاة على السيد المُوْتَى جوامع الكلم محمدٍ الذي عنت لِقَيُّومِيَّةِ مَشْرِفِهِ الوجوه وسَجَدَتْ له الجِباه صلاةً دائمة قائمة ما نَطَقَتْ بمجدِهِ الألسِنَةُ وتحركتْ بالصلاةِ عليه الشفاهُ وسلم تسليما عليه وعلى الذين اصْطَفَى من كلِّ حليمٍ أواهٍ.

أما بعد: فإني ذاكرٌ في هذا الكتاب بعض ما تحوي عليه الجلالة من الأسرار والإشارات فأقول إن الله للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات فكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج وهو عند المحققين للتعلق لا للتخلق وحقيقته أنه دليل الذات لا غير ثم انه يظهر في مواطن كثيرة ومراتب جمة إذ لا فائدة لتصور الذات في تلك المواطن لما تطلبه تلك المراتب من المعاني والأحكام فتكون الجلالة في ذلك الموطن تعطي بما تحتوي عليه من معاني الأسماء ما يعطيه ذلك الإسم من جهة ذلك المعنى الذي يختص به وفيه شرف ذلك الإسم من حيث أن الجلالة قامت مقامه في ذلك الموطن بمُهَيْمِنِيَّتِهَا على جميع الأسماء وخصوصيِّتها بالإحاطيَّةِ فيها كالمذنب إذا قال يا الله اغفر لي، فالجلالة ههنا نائبة مناب الغفار فلا يجيبه منها إلا معنى الاسم الغفار وتبقى الجلالة مقدسة عن التقييد، ثم إنها غيب كلُّها ما فيها من عالم الشهادة شيءٌ إلا استرواح ما في وقت تحريكها بالضم في قولك الله لا غير فإن الهو يظهر هناك وما عدا هذا فغيب مجرَّدٌ أعني في اللفظ وأما في الخط والرقم فغيب مطلق لا غير.

واعلموا أنها تحوي من الحروف على ستة أحرف وهي: ا ل ل ا ه و، أربعة منها ظاهرة في الرقم وهي الألف الأولية ولام بدء الغيب وهي المدغمة ولام بدء الشهادة وهي المنطوق بها مشددة وهاء الهوية.

وأربعة منها ظاهرة في اللفظ وهي ألف القدرة ولام بدء الشهادة وألف الذات وهاء الهو وحرف واحد منها لا ظاهر في اللفظ ولا في الرقم لكنه مدلول عليه وهو واو الهو في اللفظ وواو الهوية في الرقم وانحصرت حروفه، واللام للعالم الأوسط وهو البرزخ وهو معقول والهاء للغيب والواو لعالم الشهادة ولما كان الله هو الغيب المطلق وكان فيه واو عالم الشهادة لأنها شفهية ولا يتمكن ظهورها في الله، لهذا لم تظهر في الرقم ولا في اللفظ فكانت غيبا في الغيب وهذا هو الغيب ومن هنا صح شرف الحس على العقل فإن الحس اليوم غيب في العقل والعقل هو الظاهر فإذا كان غدا في الدار الآخرة كانت الدولة في الحظيرة الإلهية وكثيب الرؤية للحس فنظرت إليه الأبصار وكانت الغايات للأبصار والبدايات للعقول ولولا الغايات ما التفت أحد إلى البدايات فإنظر ما هنا من الأسرار وهو أن الآخرة أشرف من الدنيا قال الله تعالى ((تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ)) 67 سورة الأنفال، وقال تعالى ((وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) 17 سورة الأعلى.

ثم أن الآخرة لها البقاء والدنيا لها الزوال والفناء، والبقاء والديمومية أحسن وأشرف من الذهاب والفناء.

ثم أن المعرفة بالله ابتداء علم وغايتها عين، وعين اليقين أشرف من علم اليقين، والعلم للعقل والعين والبصر، فالحس أشرف من العقل، فإن العقل إليه يُسعى ومن أجل العين يَنظر، فصار عالم الشهادة غيب الغيب، ولهذا ظهر في الدنيا من أجل الدائرة فإنه ينعطف آخرها على أولها فصار عالم الشهادة أولا وهو مقيد عما يجب له من الإطلاق فلا يبصر البصر إلا في جهة ولا تسمع الأذن إلا في قرب، فخلافه إذا مشى حقيقة، وانطلق من هذا التقييد كسماع سارية ونظر عمر رضي الله عنه إليه من المدينة وبلوغ الصوت وما أشبه ذلك وصار عالم الغيب وسطا وهو عالم العقل فإنه يأخذ عن الحس براهينه لما يريد العلم به وصار عالم الشهادة المطلق غيبا في الغيب وله يسعى العقل ويخدم وصورته في الدائرة هكذا:

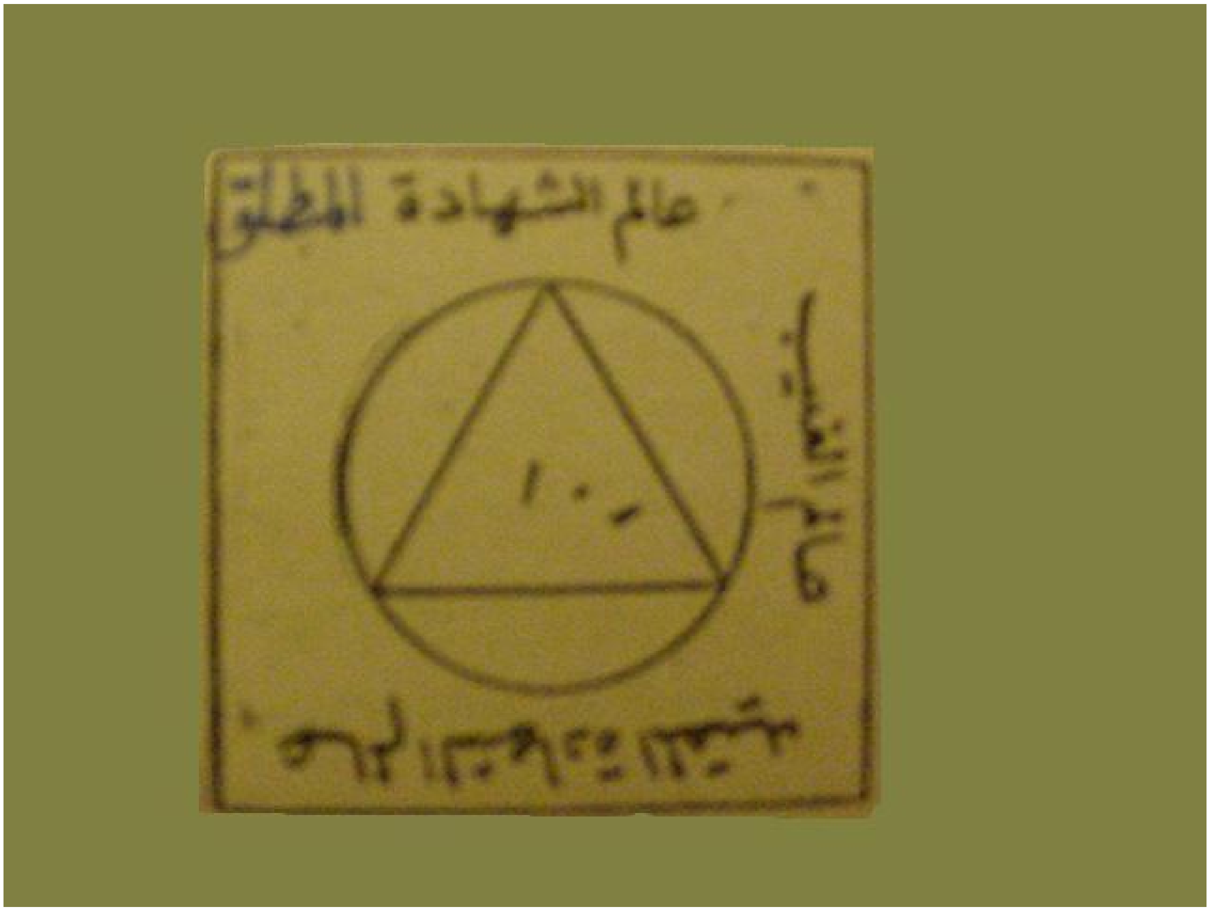


لكل شيء ظل وظل الله العرش، غير أنه ليس كل ظل يمتد والعرش في الألوهية ظل غير ممتد لكنه غيب، ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنوار كان ظلها فيها، والنور ظله فيه والظلمة ضياؤها فيها، ولما استوى الله على قلب عبده المؤمن فقال سبحانه:((ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي)) حين استوى الاسم الرحمن على العرش المعروف الظاهر، فالعرش الظاهر ظل الرحمن والعرش الإنساني ظل الله وبين العرشين في المرتبة ما بين الاسم الله والرحمن وان كان قد قال سبحانه:((قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)) فلا يخفى من كل وجه على كل عاقل تفاوت المراتب بين الاسمين ولهذا قال المُكَلَّفون: ((وما الرحمن)) حين قال لهم ((اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ)) ولم يقولوا: وما الله، ولما كان العرش سريرا صار غيبا في الرحمانية، ولما كان الاستواء الإلهي على القلب من باب وسعني صارت الألوهية غيبا في الإنسان فشهادته إنسان وغيبه إله ولسريان الألوهية الغيبية في هذا الشخص الإنساني ادَّعى الألوهية بالإسم الإله فقال فرعون:((مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) ولم يتحر من أجل أن قالها عن المشيئة لا عن الحال لا من طريق الأمر أن يقول ((أنا الله)) ولا قال إله وإنما قالها بلفظة غيري فتفطَّن وصرح بالربوبية لكونها لا تقوى قوة الألوهية فقال ((أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)) بخلاف من قالها عن الحال من طريق الأمر بمساعدة المشيئة فكان جمعا مثل أبي يزيد حين قال: إنني أنا اللهُ لاَ إله إلا أنا فاعْبُدُوني وقال مرة: أنا الله فلم يكن للألوهية فيه موضع فراغ ترمي سهامها فيه لكمال سعة السريان، فعزة الألوهية على سائر المراتب الأسمائية ظاهرة وغالبة فلا مقاومة لإسم معها البتة.

الله كلمة نفي شدت في العالم العلوي فارتفع بها الترجمان ومن عاد نفيا بعد الإثبات فلا عين له ولو ظهر في اللفظ كما نفي الشريك بقوله لا شريك له فلا عين له في الحكم واللفظ به موجود وما بقي بعد نفي لا إلا الألفان وهو الأول والآخر فاضرب أحدهما في الآخر يخرج الهاء بينهما وينتفيان وهو الهو فإن

الأول له تعالى اسم إضافي لا حقيقة له فيه فإنه بوجودنا وحدوث عيننا كان له حكم الأولية وبتقدير فناء أعيننا كان حكم الآخرية ونحن من جانب الحقيقة في عين قال الله تعالى:((وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً)) وقال تعالى:((لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً)) فكأنا لم نكن فلا أولية إذن ولا آخرية إذ لا نحن فبقي هو خاصة وهو المطلوب.

لام هذا الاسم الأولى لام المعرفة، فإن الألف واللام للتعريف كما جاء، والألف الأولى لكان الله ولا شيء معه فبقيت اللام الثانية والهاء وكلامنا على صورة الرقم فهي لام الملك فإن بزوال الألف واللام الأولى تبقى صورة له فهي لام الملك والهاء كناية عن غيب الذات المطلقة فإن الهاء أول الحروف ولها المبدأ وهي غيب في الإنسان ولكن أقصي الغيب فصار هذا الاسم بهذه الإشارات يحوي على كان الله ولا شيء معه من حيث الألف ويحوي على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى ويحوي على مقام الملك وفيه ظهور كل ما سواه من حيث اللام الثانية ويحوي على ذكر العالم له من حيث الهاء لأنها دليل الغيب وهو غيب عنهم فلا يطلقون عليه تعالى إلا هو فبالألف يذكر نفسه وبالهاء يذكره خلقه وبالوجه الذي يلي الألف من لام المعرفة يعرف نفسه أزلا وبالوجه الآخر منها الذي هي لام الملك يعرفه خلقه أبداً بالمعرفة المحدثة ومن حيث اللام نفسها التي هي لام المعرفة تعرفه المعرفة فقد كمل في هذا الاسم الوجود المُحدث والقديم صفته حقيقة وموصوفه، فانظر ما أتم هذا الاسم وما أكمله

وأما الألف الظاهرة في اللفظ بعد لام الملك المتصلة بالهاء في الخط والواو الغيبية في الهاء إذا نطق بالهاء الروح فإن نطق بها الجسم عادت الواو ياء فإن نطقت بها النفس المثلية عادت ألفا فحكم هذه الألف النطقية والواو المتحولة من صورة إلى صورة بحسب الناطق حكم آخر وذلك أن الهاء لما كانت تنظر إلى الألف الأولى ومقام الألف هناك أ، لا يتصل به شيء ظهرت الألف بعد اللام فاتصلت بها اللام في النطق فبقيت الهاء ولا شيء معها ما دام الكون لا يذكرها فهي ساكنة سكون حياة لا سكون موت فإن نطق بها الكون أو ذكرها فلا بد أن يكون الذاكر كما قدمنا فيظهر بعدها من الحروف كما ذكرنا.

ثم تحقق ما ذكرناه في الهو والها والهي من التحام الهويات لإيجاد الكائنات إذا نطقت بقولك باللهِ بكسر الهاء واللهَ بفتح الهاء واللهُ بضم الهاء تجد الهو في الضم والهاء في الفتح والهي في الخفض وبقي في السكون لهذا الباب كما ذكرناه وهو الثبوت.

لما كانت له المهيمنية على سائر الأسماء سرت فيه الأسماء إذا ظهر وسرى فيها إذا ظهرت سريان الماء في الماء وكان التعيين عن واحد من هذه الأسماء فيها أوتعيينها فيه للحكم والأثر وما توجهت عليه، فالقصص تبدي الأسماء والألوهية في العلم والأسماء، والألوهية توجد القصص فكأن الأمر دوري.

حكم هذا الإسم في العالم الذي يخصه الزائد له على مقام الجمعية والمهيمنية هو الحيرة السارية في كل شيء عندما يريد المعرفة به والمشاهدة وحضرته الفعل وهو المشهد الذي لا يشهده منه سواه، وكل من تكلم فيه قد فقد جهل ما يتكلم فيه ويتخيل أنه قد أصاب وهو مخطىء، وبهذا المشهد الكوني والحضرة الفعلية صحَّت الألوهية لا غير حتى أن العقلاء وأصحاب القياس من أصحابنا مثل أبي حامد وغيره تخيل أن المعرفة به تقدم على المعرفة بنا عند الأكابر وهو غلط نعم يعرفونه من حيث التقسيم العقلي أن الموجودات تنقسم قسمين إلى ما له أول وإلى ما لا أول له وغير ذلك، وهذا كله صحيح ولكن لا يعرفون أبدا كونه إلها ابتداء قبل معرفتهم بهم وكونه ذاتا معلوم صحيح غير كونه إلها، وكلامنا في الألوهية لا في أنه ثم ذات قديمة يستحيل عليها العدم فالقائلون بهذا القول لا تثبت لهم المعرفة بالألوهية واسمه الله إلا بعد معرفتهم به ولهذا صرح الشرع بالربوبية على حد ما ذكرنا فقال (من عرف نفسه عرف ربه) ولم يقل من عرف الرب عرف نفسه، فإنه لا يصح فإذا كانت الربوبية التي هي الباب الأقرب إلينا لم تمكن معرفتنا بها إلا بنا فأين أنت والألوهية، وقد كنى الشرع عن هذا المقام الإلهي أن حضرته الحيرة في قوله حين قيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (في عما) بالقصر والمد، (ما فوقه هواء وما تحته هواء)، كلمة نفي، فالقصر للحيرة وجعلها للاسم الله، فلهذا حارت البصائر والألباب في إدراكه من أي وجه طلبته، لأنه لا يتقيد بالأين، والمد للسحاب وهو الجو الحامل للماء الذي هو الحياة ومنه كل شيء فهو في ذاته لا يقال فيه أين ودل عليه بموجود برزخي بين السماء والأرض وفي البرازخ حارت الحيرات فكيف المتحيرون كالخط بين والظل والشمس والمتوهم بين النقطتين والخطين وبين السطحين وبين كل شيئين فعادت الكلمة البرزخية إلى الحيرة بعينها فما ثم إلا الحيرة فما حصَّل أحد منه إلا ما عنده، لم يحصل غريبا ولا ينبغي أن يحصل، فإن قلت هو هو فهو هو وإن قلت ليس هو هو فليس هو هو وحارت الحيرة.

ولما أراد الله تعالى تحيير بعض المخلوق من باب بعيد خلق القدرة الحادثة في القادر الحادث وأحال التأثير وخلق التوجه من القادر الحادث على الفعل وهو الكسب فظهر ما لم يكن فقال القادر الحادث فهو فعلي فقال القادر الحادث الآخر هو كسبي فقال القادر الحادث الثالث ليس فعلي ولا كسبي وقال القادر القديم هو فعلي وقال الحق ولم يستحل عند السليم العقل أن يكون مقدور بين قادرين وإنما الذي يستحيل مؤثر بين مؤثرين فتفهم هذا الفصل ترشد إن شاء الله. فالله تعالى لا يعلم ولا ينعلم ولا يجهل ولا ينجهل ولا يشهد ولا يكشف ولا يرى بطريق الإحاطة ولا يعقل ولا يدرك وإنما تتعلق هذه الإدراكات كلها بأسماء الألوهية وبأحكام الأسماء التي تستحق كالرب والمالك والمؤمن ولهذا أثبت الكتاب والسنة الرؤية في الدار الآخرة للربوبية وفي هذه الدار فقال موسى: ((رَبِّ أرني أَنْظُرْ إِلَيْكَ)) وقال سبحانه: ((فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ)) فلم يجعل للألوهية مدخلا بل قد نفى فقال سبحانه: ((لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ)) فأتى بالهو وأثبت أنه لا يدرك وهو الصحيح وقال تعالى: ((وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرةٌ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)) وبها علق الحجاب فقال سبحانه: ((كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)) وقال عليه الصلاة والسلام (ترون ربكم كما ترون القمر) وفي حديث (كما ترون الشمس) ذكره مسلم في صحيحه جاء في الحديث الصحيح في كتاب مسلم: (إن الرب يتجلى على طائفة في الحشر فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفونها فيقول: ((أَنَا رَبُّكُمْ)) فيقولون أنت ربنا فما ظهر لهم إلا الرب وما عرفوا إلا الرب ولا خاطبهم إلا الرب وقال سبحانه: ((وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ)) ولو جاء الله فإنما معناه الرب كما قدمناه فإن الأحوال والقرائن تطلب بحقائقها من الله الأسماء الخاصة بها، والله هو الجامع المحيط.

ما أحسن ما نبه الله تعالى حين أمر نبيه وأدرجنا معه في ذلك الأمر فقال عز من قائل: ((فاعلم أنه لا إله إلا الله)) فهذه كلمة تدل على أن النفي هو عين الإثبات هو عين النافي هو عين المُثبِت هو عين المُثبَت هو عين المَنْفِيُّ فإنه ما نفى إلا الألوهية وما أثبت إلا الألوهية وما كان الثابت والمثبت إلا الألوهية والمثبت، فإنه لو لم تثبُت هي في عينها لم يصح أن يثبت سواها، ولو أثبت مُثْبِتٌ ما ليس بثابتٍ لكان كذباً فهي المُثْبِتَةُ نفسها حقيقة وكلامنا من مقام الحقائق فهذه ستة أحكام، هي واحدة في الحقيقة، وهكذا الوجود كله هو واحد في الحقيقة لا شيء معه، ولهذا ما الطف إشارة الشرع قال الله تعالى ((لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) فالشهيد هو الهو والقلب والسمع فقال كان الله ولا شيء معه وتممها العلماء بالله وهو الآن على ما هو عليه كان فالآن هو الهو وكان هو الهو فما ثم إلا هو ونحن موجودون وقد أثبت أن الحال الحال والعين العين فما ثم إلا غيب ظهر وظهور غاب ثم ظهر ثم غاب ثم ظهر ثم غاب، هكذا ما شئت فلو تتبعت الكتاب والسنة ما وجدت سوى واحد أبداً وهو الهو فلم يزل الهو غائباً أبداً.

وقد أجمع المحققون أن الله لا يتجلى قط في صورة واحدة لشخص مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين وهذا هو توسع الهو، وقال أبو طالب: لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء فالرائي عين المرئي، وقد قال: ليس كمثله شيء فإن كان كما زعم زاعم ليس كهو شيء فالشيء هو الهو، وإن كانت الكاف صفة أو زائدة كيف ما كانت فلا تبال، فإن كان صفة كان لمَاماً، قال أبو طالب: وإن لم تكن صفة كان ليس هو الهو وكان الشيء هو الهو والهو هو فلا هو إلا هو.

ومما يؤيد ما ذكرناه في الله قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه من بصره خلقه) فهذا هو الله وهو الهو كما ذكرناه، فما أعلمه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالمقامات وما أكشفه للأشياء وليس المراد العدد وإنما المراد أن الله لا يمكن أن يظهر، وأيد الكلام بالبصر، وهذا من شرف البصر أنه وصف لله، والعقل ليس كذلك لأن العقل متعلقة بالغيب وما في حق البارىء غيب، فالكل له شهادة، فلهذا كان البصر ولم يكن العقل.

ومن هذا الباب على ما قدمناه أن حضرة الحيرة ما دخل من الحيرة على النُّظَّار وأرباب الأفكار والإستبصار في الصفات، أعني في إثبات أعيانها لله أو نفيها وأما أحكامها فلا خلاف بين العقلاء في ذلك، وصورة الحيرة في ذلك أن من أثبت أعيانها زائدة على الذات الموصوفة فقد أثبت العدد والكثرة والإفتقار في الله وهو واحد من جميع الوجوه غني بالذات كامل بالذات فكيف يكون هذا وإن قلنا لا يلزم مثلاً من هذا إثبات العدد على وجهٍ ما فثَمَّ ما هو علينا أشد من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها وكلُّ كاملٍ بغيره ناقصٌ بذاته، ومن نفى أعيانها وفرَّ من مثل هذين المقامين إما الكثرة وإما النقص تلقَّاه أمر آخر وهو أن الحكم لا يقدر من جهة الدَّليل الذي قد نصبتموه على معرفة الله إن ثبتت هذه الأحكام للذات مجردة فإنه إذا أثبت كونه قادراً لنفسه وقع الفعل أزلاً، وهذا محال، فإثباته قادراً لنفسه محال.

ثم إن القلب لا يجد ذلك الجلاء بقياس الشاهد على الغائب، ولا سيما وقد عرف مأخذ العقول من أين هو ومن أين يُرگّبُ براهينها وأدلتها فالقصور منوط والإقدام على هذه الأمور غير حسن، وكل ما لا يمكن حصوله إلا بالمشاهدة والرؤية أو التعريف فحصوله من غير هذه الطرق افتيات على المقام وجرأة.
فالأولى باصحاب العقول الوقوف والإقرار بالوجود وإحكام الصفات، ولا سبيل للتعرض لا لنفيها ولا لإثباتها، فإن العقل أعجز من أن يقف على مثل هذا، بل على أقل شيء، فانظر تسلط هذا الإسم العجيب والكلمة العجيبة على جميع العوالم بالحيرة والعمى فيه، فأصحاب العقول انظر ما أشد حيرتهم، ما اجتمعوا على شيء لا المُثْبِتِنَ ولا غيرهم من النُّفاة وأصحاب المشاهدات قد ظهر إليهم ووقع الإنكار والعياذ منه حين لم يوافق صورة معرفتهم به، فمعرفتهم به رأوا وهو الظاهر لم يزل، لكن إذا كان مطلوبك في المرآة أن ترى فيه وجهك فلم تأتها على التقابل بل جئتها على جانب فرأيت صورة غيرك فيها فلم تعرفها وقلت هذا ما أردت، فقابلتك المرآة فرأيت صورتك فقلت هذا صحيح فالعيب منك لا من المرآة.
ولما قيَّدْتَ الطلب بصورة معقولة فاتك خير كثير فقد صار أهل المشاهدة في حيرة أشد من حيرة أصحاب العقول مع المشاهدة، وكذلك أصحاب الرؤية أول رؤية تقع لهم، فإن الرؤية خلاف المشاهدة، ولهذا الخبر بالرؤية غداً لا بالمشاهدة، وقد ذكرنا هذا الفصل في كتاب العين فلينظر هناك، فيمسكون أصحاب الرؤية على ما وقع لهم فيها فإذا رأوه مرة أخرى رَأَوْا خلاف ذلك، وكذلك في كل رؤية، فحاروا كما حار أهل المشاهدة هنا، فما ثم إلا حيرة في حيرة، فلو كان الهو ظاهرا لما صح هذا الخلاف، ولو الهو ظاهراً ما كان الهو ولكان الأنا ولا بد من الهو فلا بد من الخلاف، ولنا فيه قصيدة:

وإذا أردت تمتعاً بوجوده *** قسَّمْتَ ما عندي على الغرماء
وَعَدِمْتَ من عيني مكان وجوده *** فظهوره وقفٌ على إخفاء

فصار ظهور الهو الذي هو الله إذا لم يكن أنا حتى لا يكون هو الهو هو ولو بقيت أنا عند ظهور الهو لكان الأنت والهو لا بد منه ولا بقاء لي، وما ينتفي الهو إلا في الهو، فإن الهو ليس من نفسه في الهو ولا في غيره، ومن هذا الباب.
باب الحيرة الإلهية: ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى)) وافعل ياعبدي ما لست بفاعل بل أنا فاعله ولا أفعله إلا بك لأن لا يتمكن أن أفعله بي فأنت لا بد منك وأنا بُدُّكَ اللازم فلا بُدَّ مني، فصارت الأمور موقوفة عليّ وعليه فحرت وحارت الحيرة وحار كل شيء وما ثم إلا حيرة في حيرة، وكم قلت:

الرَّبُ حَقٌّ والعَبْدُ حَقٌّ *** يَا لَيْتَ شِعْرِي مَن المُكَلَّفْ
إنْ قُلتَ عَبْدٌ فَذاكَ نَفْيٌ *** أو قُلت رَبٌّ فَمَا يُكَلَّفْ

وكم قلت:

حَيْرَةٌ مِنْ حَيْرَةٍ صَدَرَتْ *** لَيْتَ شِعْرِي ثَمَّ مَنْ لا يَحَارْ
أنا مَجْبورٌ وَلا فِعْلَ لِي *** فَالَّذِي أَفْعَلُهُ باضْطِرَارْ
والذي أسْنَدَ فِعْلي لَهُ *** لَيْسَ في أفْعالِهِ بالخِيارْ
أنا إن قُلتُ أنا قَالَ لا *** وهُوَ إن قالَ انا لم يغارْ
فأنا وَهْوَ عَلى نقْطَةٍ *** ثبتت ليس لها من قرارْ

وكم قلت:

تَعَجَّبْتُ مِنْ تَكْلِيفِ مَا هُوَ خَالِقٌ *** لَهُ وَأنا لا فِعْلَ لي فَأرَاهُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونُ مُكَلَّفاً *** وَمَا ثَمَّ إلا اللهُ لَيْسَ سِوَاهُ

ومع قولي هذا كله قيل لي افعل، ومن باب الحيرة الإلهية قوله سبحانه: ((مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ)) فالعاقل يأخذه على إمضاء الحكم وإنفاذه ولا مَرَدَّ له بقوته، والمحقق يأخذه من باب الحيرة، وإنه لا يتمكن إلا هذا وإلا فكما وَصَلَتْ الخمسون إلى خمسة ولم يُتَمَكَّنْ أن يُنْقَصَ منها، كذلك لم يتمكن أن تبقى الخمسين أصلاً، لما سبق بها القول، فهذا بعض ما في الجلالة وقد نجز الغرض الذي أعطاه الوقت، والحمد لله.